– علاقة علم النفس التربوي بالديداكتيك والتعليمية1:

جدير بالذكر أولا أنه كان هناك تداخلا واضحا بين الديداكتيك وبين البيداغوجيا منذ زمن قديم، بين من كان يراهما متممان لبعضهما ، وبين من يرى أنهما منفصلان ولا يمكن في أيّ حال من الأحوال التفرقة بينهما حتى جاء هانس ايبلي(H.aebli) سنة 1951 من خلال كتابه المعنون بـ:" الديداكتيك السيكولوجي" حيث وضح ذلك قائلا " الديداكتيك علم مساعد للبيداغوجيا، وإليه تسند هذه الأخيرة مهمات تربوية عامة لكن ينجز تفاصيلها كيف نجعل التلميذ يحصل هذا المفهوم، أو هذه العملية، أو هذه التقنية ؟ تلك هي نوعية المشاكل التي يسعى الديداكتيكيون إلى حلّها، مستعينين بمعارفهم المتعلقة بنفسية الأطفال وضرورة التعلم لديهم"[1].

حيث حدد هذا التعريف مجال التعليمياتي الذي يأخذ بعين الاعتبار في بحثه الاستعدادات **العقلية والنفسية** للمتعلم ومدى انعكاس هذه الاستعدادات على تحصيله واكتسابه لمختلف التعلمات والمهارات.

ويعد تعريف جون كلود قانيون الأكثر وضوحا؛ حيث يقول في دراسة له سنة 1973 بعنوان (ديداكتيك مادة)

الديداكتيك: إشكالية إجمالية وديناميكية، تتضمن مايلي:

– تأملا وتفكيرا في طبيعة المادة الدراسية، وكذا في طبيعة وغايات تدريسها.

[1]– علم النفس التربوي، عبد الرحمن النجدي، مرجع سابق، ص :38.

– إعداد الفرضيات الخصوصية، انطلاقا من المعطيات المتجددة والمتنوعة باستمرار لعلم النفس و البيداغوجيا وعلم الاجتماع...الخ .

– دراسة نظرية وتطبيقية للفعل البيداغوجي المتعلق بتدريسها.[1]

وبهذا يكون هذا التعريف قد أحدث قفزة نوعية في التعامل مع هذا المفهوم حيث تم تضييق مجال الديداكتيك في زاوية علم النفس، والمتأمل لتعريف قانيون يرى استقلالية الديداكتيك من تبعيتها للتخصصات الأخرى، إذ أنّ النشاط التعليمي قد أتيح له الظهور في ظل عدة معارف أخرى ؛ كالبيداغوجيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، واللسانيات التطبيقية فكانت نتائج الارتباط بينها وبين هذه العلوم هي تحقيق وجودها كعلم مستقل له أسسه ونظرياته.

ويرى الدكتور **ابرير بشير** أنّ التّعليمية علم مستقل بنفسه وله علاقة وطيدة بعلوم أخرى وهو يدرس التّعليم من حيث محتوياته ونظرياته وطرائقه دراسة علمية وهو في ميدان تعليم اللّغة يبحث في سؤالين مترابطين؛ ماذا ندرس ؟ وكيف ندرس؟

فالسؤال الأول يتعلق بالمادة الدراسية من حيث كمّها وكيّفها وذلك بالنظر إلى معجمها ودلالتها ونحوها وأصواتها من جهة وبجرد الأبنية من جهة أخرى أو الأشكال اللغوية والمفاهيم التي تساير احتياجات المتعلمين، مع الملاحظة أن اللسانيات التطبيقية هو الفرع اللساني الوحيد الذي يمكن أن يجيب عن هذا التساؤل نظرا لارتباطه وتداخله كثيرا مع التعليمية.

أما السؤال الثاني فيتعلق بتحديد نوعية المتعلمين وحاجاتهم وميولهم ثم تحويل هذه الحاجات والميول إلى قوالب لغوية ومفاهيم ثم تكييفها مع استجابات المتعلمين وأهداف ووسائل العملية التعليمية المتوفرة، غير أن الإجابة عن هذا التساؤل من اختصاص علم مناهج تدريس اللّغات

[1]– انظر: المرجع السابق، ص:39.

وكذا تخصصات أخرى لها صلة وثيقة بالتعليمية مثل، علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التربية ونظريات التعلم وعلم الاختبارات والتقويم وتكنولوجيا التربية.[1]

وعليه فإنّ فترة السبعينيات فترة نضج التعليمية وبداية استوائها كتخصص علمي مستقل، كما يمكن جعل هذا العقد بمثابة فترة بداية ظهور نتائجه التي أخذت تدريجيا تجعل له مكانة في المحيط التعليمي مما أدى إلى تطوير نشاطاته وإكسابه عقلانية ومنطقية في التحليل؛ وتأثيره وتأثره بعلم النفس عموما، وعلم النفس التربوي على وجه التحديد، والبحث في التعليمية هو دراسة نقدية تسعى إلى تأسيس ممارسات بيداغوجية جديدة مبنية على أسس علمية لا على التقليد والتجريد.

إن الديداكتيك ليس ظاهرة منعزلة تنمو بقدرتها الذاتية وتسير بقوة دفعها الخاصة، وتخضع لمنطقها الداخلي البحت، بل إن تفاعل العلم مع المجتمع حقيقة لا ينكرها أحد ... ولا يستطيع أحد أن ينكر وجود تأثير متبادل بين العلم وبين أوضاع المجتمع الذي يظهر فيه، حتى ليكاد يصح القول بأن كل مجتمع ينال من العلم بقدر ما يريد.[2]

ويرى أغلب الدارسين حاليا أنّ التعليمية علم نظري وتطبيقي، وليس مجرد آلية من الآليات أو تقنية من التقنيات يتفاعل مع مجموعة من التخصصات يستثمرها ليعطي ثماره ويرى أغلب الدارسين حاليا أنّ التعليمية علم نظري وتطبيقي، وليس مجرد آلية من الآليات أو تقنية من

---

[1]- انظر: تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، بشير بربر،عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2007، ص: 9،10.

[2]- انظر: مناهج البحث في التربية وعلم النفس- رؤية نقدية-، أحمد عطية أحمد، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1999، ص: 42.

التقنيات يتفاعل مع مجموعة من التخصصات يستثمرها ليعطي ثماره ونوضح هذه العلاقة من خلال الرسم البياني التالي كما أسلفنا سابقا: [1]

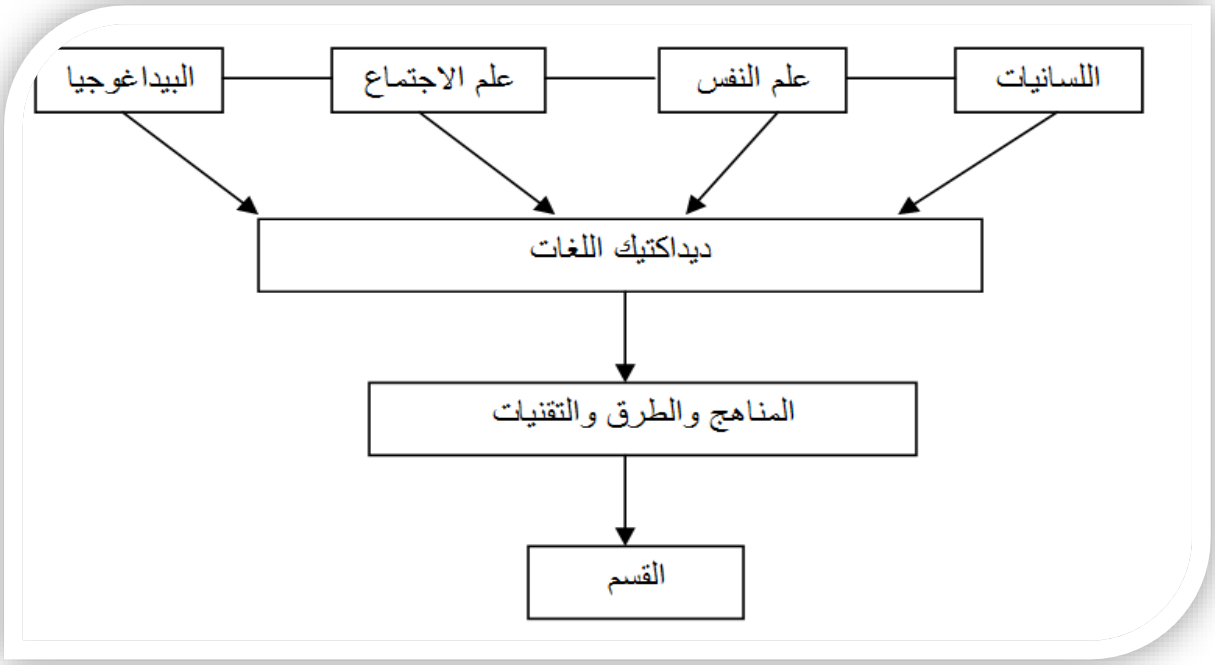

فيتضح من هذا المخطط ارتباط التعليمية بمجموعة من العلوم الإنسانية التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها المساعد الوحيد في إبرازها وتطورها، على الرغم من أن مدلولاتها المتمايزة التي كانت تدل عليها كلمة ديداكتيك أو التعليمية خلال فترات تطورها المختلفة كانت تُستعمل في سياق يربطها بتعلم مادة من المواد الدراسية، لأنّه من غير الممكن القيام بأيّ دراسة أو عملية تعليمية دون ربطها بمضمونها، فإنّ المخطط الذي بين أيدينا قد حدد نوعا خاصا من المواد، ألا وهو تعليم اللغات في ضوء علاقاتها مع العلوم الأخرى كعلاقة التعليمية بالبيانات حيث تتبادل التّعليمية المنافع مع كثير من العلوم المؤثرة فيها والمتأثرة بها؛ منها اللسانيات ـ كما أشرنا آنفا ـ التي استفادت منها التعليمية استفادة كبيرة عبر مراحلها المتعاقبة فشملت مدارسها ونظرياتها، لهذا لوحظ أن المدارس اللسانية ونظرياتها التي انبثقت عن

[1]– انظر: من البيداغوجيا إلى الديداكتيك، رشيد بناني، مرجع سابق، ص:46 .

التعليمية أتاحت فرصة إمكانية التفكير والتأمل في المادة اللغوية وبنياتها والمناهج التي تحكمها؛ مما نتج عن كل هذه المدارس عدّة مفاهيم كان لها الأثر البالغ في تعليمية اللّغات، ومن ثمة فإنّ تلك الأبنية ووحداتها وعلاقاتها فيما بينها من شأنه أن يعين على معالجة المواد اللّغوية المدرسة معالجة بيداغوجية مخصوصة يراعى فيها التدرج من البسيط إلى المعقد، والانتقال من الشبيه إلى الشبيه به، أو المقابل له، وهو ما يساعد على ترسيخ المعلومات المقدمة في أذهان المتعلمين وتيسير عملية استحضارها من قبلهم كلما شعروا بالحاجة إلى ذلك.[1]

[1]– انظر: كيف نعلم العربية لغة حيّة، بحث في إشكاليات المنهج، محمد صالح بن عمر، دار الخدمات العامة للنشر، ط1، تونس، 1998، ص16.